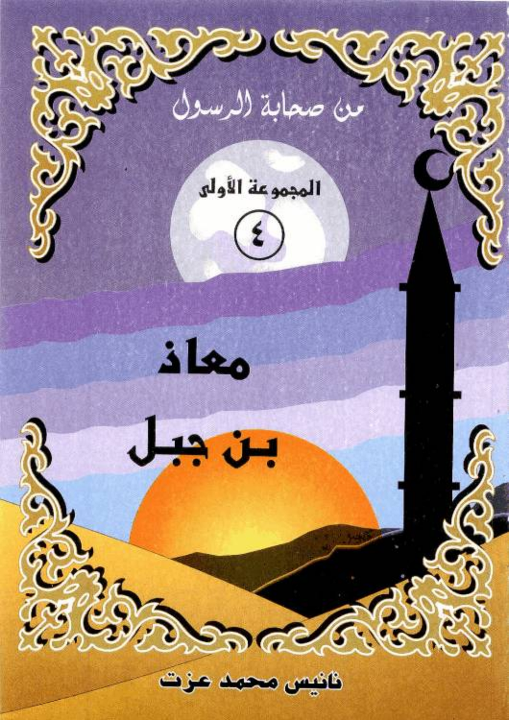

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
٤
معاذ
بن جبل
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٤

مُعاذُ بن جَبَل

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

مُعاذُ بنُ جَبَل

كانَ أَيْمنُ طِفلاً ثَرثـارًا كَثـيرَ الكَـلامِ لا يُراعـى آدابَ الحَديث ، فدائمًا ما يتكلّمُ بصَوتٍ مُرتَفِـع ، وكَثيرًا ما يُقاطِعُ من يُحدِّثُه ، ولا يَهتَمُّ بالاسْـتِماعِ إلى مـا يُقـال لـه ، وعَبثًـا حـاولَ والِـدُهُ أن يُعلِّمَـهُ آدابُ الحَديث ، ولكِنّهُ بقَى علَى حالِه .

وذاتَ يَومٍ قالَ أيمنُ لوالِدِه : متَـى سَـنذْهبُ إلى النّادى ، ومنْ سَيكونُ مَعَنا ؟ وماذا سَنَفْعلُ هُناك ؟ وهلْ أَلبَسُ ملابِسَ ثَقيلَةً أو خَفيفَة ؟

قالَ والِدُه : سَنَذْهبُ السّاعَةَ ..

قاطَعَـهُ أيمـنُ بقَولِــه : وهــل يُمكِــنُ أن أَدعُــوَ صاحِبَيَّ سامِح وعـادِل ؟ لِنلعَـبَ مُبـاراةً فـى كُـرةِ

السَّلّة .

قالَ والِدُه : نَعَم ، يُمكِنُكَ أن ..

قالَ أيمن : عَظيم !.. أتعلَمُ يا والِدى أنّنا فى المَرَّةِ السابِقَة هَزمْنا الفِرقَةَ المُنافِسَة ؟ فقد اسْتَطاع سامِحٌ أن يُراوِغَ الفَريقَ كُلّه ، ويُحرِزَ هَدَفا رائِعا . واليَومَ سنَلعَبُ ..

قاطَعَهُ والِدُه : أيمن .. الرَّحمَةَ يا بُنَى ، فقد أَصبْتَنى بصُداع .

قالَ أيمن : أأُحضِرُ لكَ قُرصَ أَسبِرين ، أم كوبًا من الشّاى ، أَم تُحبُّ أنْ تَنام ؟

قالَ والِدُه : لا ، بل سأُحضِرُ لك أنا قِصَّةً لتَقرَأها ، علَى ألاّ أسْمَعَ لك صَوتًا حتى تَنتَهىَ

مِنها .

قالَ أيمن : وما اسمُ هذهِ القِصَّة ؟ أهي مُسَلِّيَةٌ يا أَبى ؟

قالَ والِدُه : نعم ، ومُفيدَةٌ لك أَيْضا .

قامَ والِدُه وأحضرَ القِصَّة ، وقالَ لأيمن : ها هى القِصَّةُ فاقْرَأها .

قالَ أيمن : قِصَّةُ مُعاذُ بنِ جَبَل .. مَن هو يا أَبى؟

قالَ والِدُهُ فى حَزْم : اقرَأ القِصَّةَ يا أيمنُ أَوَّلا .

وبدأَ أيمنُ يَقْرأُ قِصَّةَ مُعاذِ بنِ جَبَل ، فعرَفَ أنَّ مُعاذًا كان من أهلِ المَدينةِ أيّامَ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، وأنه أَسْلَمَ وهو فى الثّامِنَةَ عَشْرَةَ من عُمرِه علَى يَدِ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْر ، وكانَ أحدَ

الاثْنَينِ والسَّبعينَ شَخصًا الّذينَ بايَعوا الرَّسولَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم يومَ العَقَبة . وعِندَما عادَ إلى المَدينَة ، حَرَصَ هو وبَعضُ الفِتْيانِ أن يَكسِروا الأَوْثانَ ويَنزِعوها من بُيوتِ المُشرِكين ، وكانَت لَهم حِكايَةٌ طَريفَة ، ساعَدتْ علَى دخُولِ أحَدِ كِبارِ رِجالاتِ يَثرِبَ « المَدينَةِ » فى الإسْلام ، هو عَمرُو بنُ الجَموح وكانَ عَمرُو بنُ الجَموحِ سَيِّدًا من ساداتِ بنى سَلِمَة ، وكانَ لَه صَنَمٌ منَ الخَشبِ يُحبُّهُ ويَعتَنى به أشَدَّ اعْتِناء ، فيَلِفُّهُ فى الحَرير ، ويُطَيِّبُهُ بأفْخَرِ العُطور . ففى أثْناءِ اللّيلِ وعَمرُو بنُ الجَموحِ نائم ، جاءَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ومَن مَعَه من الفِتْيان ، فحَمَلوا الصَّنمَ وألقَوْهُ فى حُفْرَةٍ

مَليئةٍ بالقاذورات . وعِندَما اسْتَيْقَظَ عَمروٌ لم يَجِدْ صَنَمهُ في مَكانِه ، فراحَ يَبحَثُ عَنه حتّى وجدَهُ مُلطَّخًا بالوَحَلِ والقاذورات ، فغَضِبَ غضَبًا شَديدا ، ثُمَّ نَظَّفَهُ وطَيَّبَه ، وقالَ له : أيْ مَناة : « اسم الصَّنَم » واللّهِ لو أنّى أعلَمُ من صنعَ بك هَذا لأُخزِيَنّه . وتكرَّر نَفْسُ ما حَدَث في اليَومِ التّالى ، فتَكرَّر غَضبُ عَمرو ، فوَضَع مع الصَّنَمِ سَيْفًا وقالَ له : خُذ هذا السَّيفَ ودافِعْ عن نَفسِك. وجاءَ الفِتيانُ وفَعلوا بالصَّنَمِ ما فَعَلوهُ في اليَومَيْنِ السّابقَين ، فألقوهُ في الوَحَل ورَبَطوا السَّيفَ في عُنُقِ كَلبٍ مَيّت .

فاغْتاظَ عَمرُو بنُ الجَموحِ من صَنَمِهِ الّذى لم

يَستَطِعْ أن يُدافِعَ عن نَفسِه ، فكيفَ إذنْ يَستطيعُ أن يَحمِيَهُ هو أو يَحفَظَه ؟ فألقَى بِه بَعيدًا وأعلَنَ إسْلامَه .

ضحِكَ أيمنُ كَثيرًا وقال : يا لَها من قِصَّةٍ طَريفَة، إنَّ ما فَعلَهُ مُعاذٌ وأَصحابُه بالصَّنَمِ ..

قاطَعَهُ أبوهُ وقال : أَكْمِلِ القِصَّةَ يا أَيْمَن ، فإنَّ حَياةَ مُعاذِ بنِ جَبَل ، مَليئَةٌ بالعِبَرِ والمَواقفِ الرّائِعَة.

واسْتَمرَّ أيمنُ في قِراءَةِ القِصَّة ، وعَلِم منها أنّه عِندَما هاجَرَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم من مكّةَ إلى المَدينَة ، حرَصَ مُعاذٌ على مُلازَمَتِه ، وأخذَ عنهُ القُرآنَ وشَرائِعَ الدّين ، فكانَ لا يَتغَيَّبُ عن مَجلِسٍ من مَجالِسِ الرَّسول ، ويَظَلُّ صامِتًا

يَستَمِعُ إليه ، فيَعي ويَحفَظُ ما يَقـول ، حتّـى صـار من أَقْرَأ الصَّحابَةِ لكِتابِ اللّه ، وأعْلَمِهـم بشَـرائعِ الإسْلام .

وقد قالَ عنه الرَّسـولُ صلّـى اللّهُ عَليـهِ وسَلّم : (أَعلَـمُ أُمَّتِـي بـالحَلالِ والحَـرامِ مُعـاذُ بـنُ جَبَـل) . وكانَ لِمعاذٍ الشَّرفُ أن كانَ من السِّتّةِ الّذينَ جَمَعـوا القُرآنَ في حَياةِ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم .

أرْسَلَ الرَّسولُ مُعاذًا إلى اليَمَـن ، ليُعلّـمَ النّـاسَ تَعاليمَ الدّينِ ويُفقّهَهُم فيه . وسألَهُ الرّسول : بماذا تَقْضـي يـا مُعـاذ ؟ قـالَ : بكِتـابِ اللّـه . فسَـألَهُ الرَّسول : فإنْ لم تَجِد ؟ قالَ : فبسُنَّةِ نَبيِّه . فسَألَه: فإنْ لم تَجِد ؟ قالَ فأجْتَهِدُ برَأْيي . وقـد كـانَ لِمعـاذٍ

عَقلٌ واعٍ مُستَنير ، أعانَهُ على التّفقُّهِ فى الدّين .

وخرجَ النّبيُّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ليُودّ عَ مُعاذًا فى طَريقهِ إلى اليَمَن ، وكانَ مُعاذٌ على راحِلَتِه ، يمشى النّبيُّ إلى جانِبه ، وقالَ له : (يا مُعاذ ، إنَّكَ عَسَى ألاّ تَلقانى بعدَ عامى هذا ، ولعَلَّكَ أن تمُرَّ بمَسجدى وقَبرى ..) فبَكَى مُعاذٌ لفِراقِ النَّبيّ ، وصَدقَتْ النُّبوءَة ، فماتَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، قبلَ أن يَرجِعَ مُعاذٌ من اليَمَن . وعادَ مُعاذٌ إلى المَدينَةِ فى عَهدِ أبى بَكرٍ الصِّديقِ وقدِ أَثْرَى واغْتَنى، فطلبَ مِنه عُمَرُ بنُ الخَطّابِ أن يُعيدَ إلى بَيتِ مالِ المُسلِمينَ نِصفَ مالِه . ولأنّه واثِقٌ من طَهارَةِ مالِه ، رفَضَ وقال :

ـ إنّه مالى ولا شُبهَةَ فيه .

ونامَ مُعاذٌ ورأى رُؤيا أنّـهُ يَعبُرُ بُحيْرَةً ويَخافُ الغرَق ، حتّى جاءَ عُمَرُ وأنقذَه . فأسرعَ إلى عُمَـرَ وطلبَ مِنه أن يُشاطِرَهُ نِصفَ مالِه .

ولكنَّ أبا بَكرٍ رَفضَ لِثقَتِهِ فى مُعاذٍ وفى أمانَتِه .

قالَ أيمن : كيفَ يَشُكُّ عَمـرُ بـنُ الخَطّـابِ فـى أمْوالِ مُعاذ ، وقد نَشأَ مُعـاذٌ فـى مَدرَسـةِ النُّبُـوَّة ، وتَعلَّم على يَدِ الرَّسول ، فكيفَ لـه أن يَشُـكَّ فـى أحدِ تَلامِذَةِ الرَّسول ؟

قـالَ أَبـوه فَرِحًـا بمُلاحَظـةِ ابْنـهِ : لا تَتعَجَّـل يـا أيمن.. وأكمِل قِـراءَةَ القِصَّـة ، وسـوفَ تَعـرِفُ أنّ سيِّدَنا عُمَـر ، كـانَ يَعـرِفُ لِمُعـاذٍ قَدرَه ، وكـانَ

يَستَشيرهُ دائما . وقالَ عنه : لَولا مُعاذُ بنُ جَبَل هَلكَ عُمَر .

وأَكملَ ايمنُ قراءةَ القصَّة ، فعرفَ الكثيرَ عن مُعاذ ، وعرفَ كذلك أنَّ سَيِّدَنا عمر ، بَعثَ مُعاذًا لِيُوزِّعَ الأُعطيَاتِ على بَنى كِلاب . وعادَ مُعاذْ إلَى زَوجَتِه خاوىَ اليَدَين ، فسَأَلَتْه : أينَ ما جئتَ به مِمّا يَأتى بِهِ الوُلاةُ من هَدِيَّةٍ لأَهلِهِم ؟

وردَّ عليها مُعاذ : لقد أَرسلَ معى عُمَرُ رَقيبا يُحصى عَلَىّ .

وعَلِمَ عُمَرُ بما قالَهُ مُعاذْ لزَوجَتِه ، فسأَلَه مُسْتَنكِرا : أأَرسَلتُ مَعَك رَقيبا ؟

فردَّ مُعاذ : لا ، ولكِنّى لم أَجدْ شَيئًا أَعتَذِرُ به إلَيْها إلاّ ذلك .

وضَحِكَ الخَليفَةُ عُمَر ، وأَعطاهُ بَعضَ الهَدايا لزَوجَتِهِ لِترضَى .

وأرسَلَ يَزيدُ بن أبى سُفْيانَ والى الشّام إلى عُمَر ابنِ الخَطّابِ يُخبِرُهُ بانْتِشارِ الإسْلامِ فى الشّام ، ويَطلُبُ مِنه منْ يُعلِّمُهُم الدّين ، ويُفقّهُهم فيه .

فأرسلَ إلَيهم عُمرُ ثَلاثةً مِّمَن جمَعوا القُرآنَ أيّامَ الرَّسول ، هم مُعاذُ بنُ جَبَل ، وعِبادَةُ بنُ الصّامِت، وأبو الدَّرْداء . وكانَ مُعاذٌ دائمَ الدَّعوةِ إلى ذِكرِ اللّه ، وكانَ يَرَى فى العِبادَةِ قَصْدا وعَدْلا. وسَألَهُ أحدُ المُسلِمينَ أن يُعلّمَه ، فقالَ له : هل أنتَ مُطيعٌ إن عَلّمتُك ؟ قال : نعم . قال : اعْتَدِل فى كلِّ شَىء ، فصُمْ وأفطِر ، واكْتَسِب

ولا تأثَم ، ولا تموتَنَّ إلاّ مُسلِما ، وإيّاكَ أن يَدعُوَ عَليكَ مَظْلوم .

ولاحَظَ أيمن من سِياقِ القِصَّةِ أنَّ مُعاذًا كانَ دائِمًا كَثيرَ الصَّمت ، كثيرَ التّأمُّلِ فى الكَوْن ، قَليلَ الكَلامِ إلاّ عند الضَّرورَة ، وإذا تكلَّمَ لا يَتكلَّمُ إلا بِما يَنفَعُ النّاس .

وقد وَصفَهُ أحدُ مُعاصِريهِ فقال : كأنَّما يُخرِجُ من فَمِهِ نورًا ولُؤلُؤا . وكانَ مُعاذٌ عُنصُرًا مُشتَرَكًا فى جَميعِ مَجالِسِ العِلم ، يَجلِسُ فيها صامِتًا لا يَتحدَّثُ إلاّ إذا طُلِبَ منه الحَديث ، وإذا اختَلفَ الحاضِرونَ فى شَيء ، رَدّوهُ إليه ليَفصِلَ فيه ، علَى الرُّغمِ من أنّهُ كانَ أصْغرَ الحاضِرينَ سِنّا .

وفى الشّامِ أُصيبُ مُعاذٌ بالوَباء . فلمّا حَضرَتهُ الوَفاة اسْتَقْبلَ القِبلَةَ وناجَى ربَّهُ فقال : اللّهُمَّ إنّكَ تعلَمُ أنّى لم أكن أُحِبُّ الدُّنيا وطولَ البَقاءِ فيها لِغَرسِ الأَشْجارِ وجَرى الأَنْهار ، ولكن لظَمَإِ الهَواجِر ، ومكابدَةِ السّاعات ، ومُزاحَمَةِ العُلَماءِ بالرُّكَبِ عند حَلَقِ العِلم . ولَقِىَ مُعاذٌ ربَّهُ وهو فى الثّالِثَةِ والثّلاثينَ من عُمرِه .

وعِندما انْتهَى أيْمَنُ من قِراءَةِ القِصَّة ، قال لوالِدِه : يا لَها من قِصَّةٍ جَميلَةٍ يا أَبى !

قالَ أبوه : وماذا تَعلّمتَ مِنها يا أيْمن ؟

قالَ أيمن : تَعلّمتُ مِنْها إذا كانَ الكَلامُ من فِضّة ، فالسُّكوتُ من ذَهَب .

قالَ أبوه : حَسَنٌ يا أيمن ، ويَجبُ عَليكَ دائِمًا أن تتذَكَّرَ الدُّعاءَ المَأثور : اللّهمَ اجعلْ صَمْتى فِكرا ، ونُطْقى ذِكرا .

والآنَ هَيا لِنذْهَبَ إلى النّادى ، حتّى لا نَتأخَّرَ عن أصْدِقائِك .